

"الانسحاب هو فعل الكينونة"

The dissimulation is the fact of Beingبسرني سليمة¹¹ جامعة الجزائر 2 بوزريعة- الجزائر

bissernisou@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/03/12 تاريخ القبول: 2022/03/16 تاريخ النشر: 2022/05/10

ملخص:

الكينونة هي الإمتلاك المشترك بين الكينونة والكائن وهذا ما يطلق عليه هيدغر مصطلح *Ereignis*. لقد تنبه هيدغر في مسار تحريه عن حقيقة الكينونة، أن الكينونة منسحبة ومتحجبة في الوقت نفسه الذي تنكشف فيه للكائن. وأن إنسحابها على حساب ظهور الكائن هو الذي جعلها منسية، فغفل عن حقيقتها الفلاسفة السابقون. في كل مرة طرح فيه الميتافيزيقيون سؤال: ما الكينونة؟ كانوا يجيبون عنها بالكائن. الكينونة في نظر هيدغر هي لا كائن فهي في جوهرها عدم. فكان الفرق الأنطولوجي هو النقطة المحورية التي أراد من خلالها أن ينير حدث النسيان. كيف عالج هيدغر حدث نسيان الكينونة؟ هل حدث النسيان هو فعل الكينونة الكاشفة أم أنه نتيجة لامبالاة الدازين المنغمس في نمط الكينونة اللاأصلية؟ كلمات مفتاحية: الكينونة، الكائن، الانسحاب، الانكشاف، النسيان.

Abstract:

Martin Heidegger remarked in his investigation about the meaning of Being, that Being dissimulate himself in the same instance of his manifest. There is a secret in the phenomenon of Being, especially when we think about his substance, this thinking opens the world of nothingless because Being is not beings, there is a difference between them. That's why Heidegger said, in Being and Time: "Being falls in oblivion". How did Heidegger treat the forgetting of Being, (seinsvergessenheit)? Is it the result of his abandon or is it the fact of the unauthentic Dasein?

Keywords: Being, Beings, Dissimulation, Nothingless, Oblivion.

المؤلف المرسل: بسرني سليمة

1. مقدمة:

يجب طرح كل من أرسطو وأفلاطون سؤال ما الكينونة؟ ولكن الإجابة كانت على طريقة الكائن، فأزح الغموض وبقي السؤال مختبئاً خلف ظهور الكائن وحضوره. كان النسيان نتيجة للخلط بين الكائن والكينونة. الكائن *L'étant substantant* هو كائن- تحت-اليد أو في متناول اليد *vorhanden*، وهو الكائن المتفكر فيه تحت نمط الحضور *Ens existensa*، ويقابلها باليونانية مصطلح باروسيا *παρουσία*، أما الكينونة، فهي لا كائن. وهذا يعني أن تاريخ الميتافيزيقا قد أخفى حقيقة الكينونة ليهتم في بحثه عن الكائن. ولكن ما هي الميتافيزيقا؟ يجيبنا هيدغر في محاضراته التي ألقاها في 1929، ما الميتافيزيقا؟ قائلاً "هي الدازين نفسه كتاريخانية راديكالية" (Martin, *Qu'est-ce que la métaphysique ?*, 1998, p. 39). التاريخانية هي أساس بلا أساس، مما يفتح المجال لإمكانية الخطأ. ولكن هل يعني هذا أن الدازين هو المعنى بفعل إخفاء الكينونة تحت غطاء الكائن؟ ولكن لماذا إستعمل هيدغر مصطلح "دازين"؟ وكيف يمكن لهذا الكائن الخروج من حدث النسيان؟

العقل الإنساني غير قادر على الوصول إلى المعنى الدلالي للكينونة ككينونة، لأنه محدود بالظاهر (كانط)، ولهذا تقدم هيدغر في تحريره عن سؤال الكينونة إنطلاقاً من محدودية العقل، بعد أن كان العقل إليها في عصر الحداءة. كان هيدغر يبحث عن طريق آخر، يفتح له باب أفق فهم معنى حقيقة الكينونة، فكان باب الحالات العاطفية هو الوحيد الذي يمكنه أن يكشف لنا العدم، إنه باب القلق (Die (Veizin, 1986, p. 248) angst.

يقول هيدغر، في كتابه المشاكل الأساسية للفينومينولوجيا: "إن الفلسفة لم تتقدم خطوة في وجهة سؤالها، منذ أفلاطون" (Veizin, 1986, p. 210). وهذا يدفعنا للتساؤل: ما الذي يجعل فهم الكينونة من طرف الإنسان ممكناً؟ وكيف تكون الميتافيزيقا، بوصفها علماً، ممكنة؟" (زاندكولر، 2009، صفحة 12) فنحن لا نبحث إلا عن كيفية الخروج من الكهف لننضم إلى النور،

يقول جان غرايش Jean Greisch: "نسيان الكينونة، هو دائماً نسيان سؤال الكينونة والمتسائل هو الدازين" (Greisch, 1996, p. 96). هل هذا يعني أن الدازين هو المسؤول الوحيد على طرح السؤال وعلى حدث النسيان؟ وإذا كان الدازين هو المسؤول عن فعل النسيان، كيف يمكن إعادة هذا السؤال إلى الذاكرة؟ لا يكون الخروج من النسيان ممكناً إلا بتجاوز الميتافيزيقا التي إتهمها هيدغر بنسيان الكينونة وإعادة النظر في الطبيعة الجوهرية للأنطولوجيا. ولكن هل تجاوز الميتافيزيقا يعني التخلي عن تاريخها الطويل والتأهب لبداية جديدة؟

2. تاريخ نسيان الكينونة

يعتبر البحث في مسألة الكينونة، أهم الأسئلة جميعها. وهو السؤال الذي أخرجه مفكر الغابة السوداء مارتن هيدغر Martin Heidegger 1889-1976 إلى النور، بعد أن حجبه الميتافيزيقا التقليدية لقرون خلت. يضع سؤال الكينونة سؤال الكائن في الواجهة لأنه هو من أخذ النصيب الأكبر في البحث الفلسفي، مع أن طريق البحث في الكائن هو طريق البحث العلمي. وهكذا أخذت الميتافيزيقا التقليدية طريق العلم، لأنها إهتمت بالجانب الأنطي Ontique وتجاهلت الجانب الأنطولوجي. كما إتجهت أيضاً الأنطولوجيا وجهة أنطوثيولوجية Onto-théologique، عندما أحال الفلاسفة الكينونة إلى كائن مطلق Ens summum وهو "الله". فإعتبرته علة كل الموجودات. وهكذا ظلت الكينونة منسية. ولكن قد يكون حدث النسيان نتيجة لإختباء الكينونة وتواربها. فما هو حاضر أمامنا، أي ما هو واقع تحت النظر، يصعب نسيانه. هل هذا يعني أن فعل الكائن، هو صدى لفعل الكينونة في تجلها وإنسحابها؟ هل الكينونة هي الفاعل الحقيقي والمسؤولة عن حدث النسيان؟ كيف يمكن أن نميز بين فعل الكائن وفعل الكينونة؟

يستهل هيدغر في بداية كتاب الكينونة والزمان 1927، فعل نسيان الكينونة في العبارة التالية: "وقعت الكينونة اليوم في النسيان" (Veizin, 1986). إذا قمنا بالتأمل في هذه العبارة، فإن فعل النسيان غير محدد. لم يُوضَح هيدغر فيما إذا كان فعل النسيان راجع إلى كينونة الكائن أو إلى الكينونة ككينونة.

لقد غفلت الميتافيزيقا الكلاسيكية عن سؤال الكينونة، ومع أن الأنطولوجيا الهيدغرية هي أنطولوجيا فينومينولوجية. إلا أنه في بحثه وتحريره عن الكينونة، لم يظهر لنا هيدغر من هو المسئول الحقيقي عن فعل النسيان. إذا كان حدث النسيان هو نتيجة لإختباء الكينونة وتواربها، كيف رآه هيدغر بعين الفينومينولوجيا. إذا كانت الكينونة منسحبة، فنحن نتحدث عن ظاهرة كينونة منسحبة. والمنسحب هو في حكم الغائب، والغائب هو الغريب الذي لا نعرف عنه شيئاً وكأنه عدم. إذن كيف يمكن أن نتحدث عن ظاهرة إنسحاب الكينونة كظهور أو عن كيفية خروجها من الإنسحاب لتمكن من رؤيتها؟ الإنسحاب بالمعنى الهيدغري، يشبه النومين عند كانط (Veizin, 1986, p. 44). والذي لا يمكن أن نتفكر فيه. ولكن مع المفكر

الانسحاب هو فعل الكينونة الكاشفة

المسكيرشي، سيصبح الإنسحاب هو أصل الظواهر جميعا. بالنسبة لهيدغر، سؤال الكينونة كإنسحاب هو أكثر الأسئلة التي تستحق التفكير. وسنضرب مثلا للتوضيح، وهو مثال المتقاعدين الذين أفنوا شباهم في العمل والعطاء، هؤلاء سينسحبون إلى منطقة الظل بعد عطاء دام طويلا. لتخلفهم فئة الشباب التي تملك قوة الفعل، ولكن هذا لا يعني أن المتقاعدين، هم فئة إنعدمت فائدتها. وبالتالي فوجودها وعدم وجودها سواء. فنحسبهم في عداد الموتى وكأنهم لم يكونوا في يوم من الأيام. هؤلاء المتقاعدون، هم فقط إنسحبوا إلى منطقة الظل ليتركوا منطقة الإنارة للشباب القادمين المقبلين على الفعل بقوة وحماس كبيرين. كما أن إنسحابهم لا يعني مطلقا أنهم لن يخرجوا مطلقا من منطقة الظل، ولن يدخلوا مرة أخرى إلى منطقة الإنارة، تلبية وإستجابة لنداء فئة الشباب التي لا يمكنها الإستغناء عن تجربة وخبرة المتقاعدين الطويلة. هذا يعني أنه سيكون هناك حركة ذهاب وإياب. هناك إختلاف كبير بين الإنسحاب أو التباعد والإنعدام. فالإنعدام هو لإمكانية مطلقة لإمكانية وجود شيء ما. فإذا تحدثنا عن المتقاعدين، نقول "ثمة" فئة عملت ودام عطاؤها لسنوات طوال ولكنها إنسحبت. هذا يعني أن نمط كينونة المتقاعدين يختلف عن نمط كينونة الشباب العاملين. وهنا نستنتج أن لكل كائن نمط كينونة خاص وخالص، ولكنهم جميعا يشتركون في كونهم كائنات. فالكائن لا يكون بدون كينونته. الكينونة سابقة أنطولوجيا عن الكائن، فالكائن في كيفية ظهوره هو في تغير مستمر. أي أنه في حركة مقابل حضوره. وهذا يعني أن الكائن في علاقة مستمرة بكينونته، هناك نوع من المجاورة بينهما. فهل نقول عن الكائن أنه "كائن في العالم" أو "صائر في العالم". وهل هذا يعني أن الكينونة هي أيضا كائن؟

يفرق هيدغر بين الكينونة والكائن، وهذا ما يسميه بالفرق الأنطولوجي. الكينونة لا تشبه الكائن في شيء، ولا يمكنها أن تكون كائنا (MARTIN, *Questions III et IV*, 1990, p. 202)، يتميز نمط وجود الكائن ببعده المادي la dimension substantielle. وهو ما ترجم إلى اللغة الفرنسية ب Existence بالمعنى الكانطي، أي الكينونة الموجودة هنا-أمامي Là-devant، فالكينونة خالصة عن أي وجود مادي والزمان كذلك.

يتميز الكائن بنمط وجود مادي ونفعي، أي أن الكائن هو كل ما يدخل دائرة الإستعمال Util، فالقلم مثلا هو أداة للكتابة، وإستعمال الأداة هو ما يطلق عليه اليونان لفظ "براغاتا" (Veizin, 1986, p. 104) $\pi\rho\alpha\gamma\mu\alpha\tau\alpha$ ولكن في المجال الأنطولوجي، هم يتكون خاصية الإستعمال جانبا ويحددونها كأشياء خالصة وعادية propres et simples. ولكن الإنسان هو أيضا كائن، فهل يدخل الإنسان بدوره دائرة الإستعمال مثله مثل الأداة؟ هل نمط وجود الإنسان هو نفسه نمط وجود الأشياء؟

يختلف نمط كينونة الدازين بإعتباره كينونة-في-العالم عن نمط وجود الكائن (Veizin, 1986, p. 296). وأطلق عليه هيدغر المصطلح الإغريقي Ek-sistence الذي يقابله في اللسان الألماني مصطلح existenz لأنه لا يمكن القبض عليه ككينونة هنا-أمامنا، بل يتميز نمط وجوده بالإمكان (Veizin, 1986, p. 248)، أي أنه مجموعة ممكنات. Ek باللاتينية يعني المتخارج، وباليونانية يقصد به الإنفتاح. إنه إنفتاح وتجلي العالم. إن خاصية الإنفتاح هي الخاصية التي تميز الدازين، وهي علاقته الحميمة التي تربطه بكينونته منذ لحظة الميلاد إلى أن يواجه الدازين آخر ممكنات كينونته وهي الإمكانية القصوى للإمكانية الدازين والمتمثلة في موته. الدازين هو المقيم في كينونته، أي أنه Eksistence. إلا أن عزمه على مواجهة ممكناته، لا ينفصل عن علاقته بالكينونة وإستجابته لنداءها ك"لوغوس" (Veizin, 1986, p. 177). ولكن ما مهمة اللوغوس في علاقة الكائن بالكينونة؟

اللوغوس الأبوفونتيكوس $\sigma\upsilon\nu$ ، هو ما يمنحنا الإضاءة (Veizin, 1986, p. 60) . ولكن يمكنه أيضا أن يخفي، فالحقيقة هي لوغوس. يتحدث هيدغر في الفقرة 41 من الكينونة والزمان، عن "الهم"، وهو جوهر الإنسان الذي يجعل الدازين في وضعية يتجاوز فيها ذاته، موجها نظره دائما إلى ما هو قادم في المستقبل، باعتباره كينونة-في-العالم. ويقول: "الكينونة-في-العالم، هي في جوهرها همّ Sorge" (Veizin, 1986, p. 242) . وحتى تتمكن من تحديد نمط كينونة الإنسان في مقابل الأشياء والنباتات والحجر والحيوانات والإله وغيرها من الكائنات، علينا أن نطرح السؤال: من هو الإنسان؟ وهو بحث أنطولوجي، يضع الإختبارات الوجوداوية قيد التحليل. وقد إستعملنا لفظ "إنسان" وهو لفظ غير موجود في قاموس هيدغر، لنبين الفرق بين لفظ إنسان الذي تعودنا عليه في الميتافيزيقا الغربية، ويقصد به حيوان عاقل، وهو لفظ مأخوذ من اللغة اللاتينية Hominem وهو المفعول به، لفظ Homo، المنحدر من الأرض، Humus، وليس مأخوذا من اللغة الإغريقية أنثروبوس Ανθρωπος ، بمعنى الكائن الذي يوجه نظره إلى أعلى. ولكن إختار هيدغر لفظ "دازين" لأنه يعبر عن علاقة حميمة تربط هذا الكائن بالكينونة. أي أنه كينونة ملقاة في الإفتتاح، الدازين هو كينونة منفتحة (Veizin, 1986, p. 176). إنه مقام الإفتتاح، أي أنه إنارة. ويكون هذا الإفتتاح عن طريق الحالات العاطفية وليس عن طريق العقل، إنه الإفتتاح على المقدره وعلى الممكنات التي تتحقق فيها كينونته، حيث يكشف لنا القلق أفق العدم. وبهذا يكون الإفتتاح على العالم إنطلاقا من مطلقيه العدم. ولكن يجب أن نميز هنا بين الإنسان والكينونة أو بين الدازين والكينونة. فالدازين ليس هو الكينونة، ولكن هناك نوع من الإشتراك والمجاورة بين هذا الكائن المخصوص وبين الكينونة. ويقصد بالدازين الكينونة-هنا، الكينونة هنا في هذا الكائن الخاص.

يريد هيدغر أن يتحرى عن أنطولوجيا الكينونة إنطلاقا من العدم، أي إنطلاقا من الكينونة المتناهية وهذه الأخيرة هي الدازين. فالتناهي هو أكثر شيء خاص يميز الدازين. وأعطاه هيدغر لفظا باللغة الألمانية وهو Mensch. ولكن لماذا إختار هيدغر الدازين الذي يحمل كينونته وموته معه كأساس للتحرى الأنطولوجي؟ يتطلب الحديث عن معنى الكينونة معرفة الإجابة على سؤال ما هو الزمان؟ ففي ظاهرة الزمان تكمن الإشكالية المحورية لكل أنطولوجيا.

3. تجاوز الميتافيزيقا الكلاسيكية

هل كينونة الكائن هي حضوره παρουσία ؟ كينونة الكائن ليست حضوره، بل هي الكيفية التي يظهر عليها، وهي متغيرة باستمرار، وهنا علينا أن ننتبه إلى قول "كينونة- في -العالم" بمعنى صيرورة في العالم، لأنها كينونة متغيرة. أي أن الكيفية التي يظهر عليها الكائن، هي كينونة محكومة بالتغير. إذا ما هو الشيء الثابت في قلب هذا التغير؟ الشيء الثابت في قلب التغير هو إنتشار الكينونة.

عندما نتحدث عن ظاهرة الكينونة فإننا نتحدث عن كيفية ظهور هذه الكينونة. كينونة الكائن لا تظهر، ما يظهر منذ البداية هو "الأداة"، وهكذا تبقى الكينونة الخالصة والخاصة بالكائن مختفية. الكينونة العامة هي غير محددة ولا تقبل أي التعريف. وسنعرض لكم مثلا آخر وهو مثال الوردة لتيسر عملية الفهم، ولتتضح الصورة أكثر. يقول الشاعر الصوفي أنجلس سليسيوس (Angelus Silesius (Martin, Le principe de raison, 1962, p. 104):

لأنها موجودة

الوردة موجودة

ولا ترغب في أن يراها أحد.

لا تقلق بشأن ذاتها

ما يلفت إنتباهنا للوهلة الأولى بعد سماعنا لأبيات الشاعر، هو مسألة القلق. فالوردة كائن يتميز بنمط وجود يختلف عن نمط وجود "الدازين". أي أنها لا تقلق بشأن ذاتها. والأمر مختلف بالنسبة للإنسان فهو يتساءل باستمرار. ما يريد هيدغر

قوله، هو أن الإنسان في باطن وجوده المتحجب، ليس سوى ما يجعله شبيها بالوردة، أي أن كينونة الإنسان هي أيضا من دون لماذا. فمبدأ العلة لا يصدق لا على الوردة ولا على الإنسان. ولكن هذا القول لا ينفي العلة. فالعلل سحيقة لا غور لها Un fond abyssal. إن الطريقة التي عالج بها هيدغر سؤال الكينونة من خلال مثال الوردة، هي الطريقة الفينومينولوجية (Veizin, 1986, p. 53). هيدغر مفكر فينومينولوجي إعتد طريقة الوصف في تحليله الأنطولوجي. وكل ما قدمه لنا في طريق بحثه الأنطولوجي، هو تقرير لحالات الكينونة التاريخية من خلال التحليل الوجودي وهو تحليل أنماط الدارين المختلفة.

4. التقنية هي الهالة القصوى للنسيان

يرى هيدغر أن التقنية، هي نمط من أنماط الكينونة. ولكي نبحت في موضوع التقنية، علينا أن نفهم ما هي حقيقة التقنية. التقنية ليست شيئا تقنيا، فالتقنية اليوم هي أثرها، ولكن ما يهمنا هو حقيقتها. فالتقنية هي إظهار لنمط آخر للكينونة التي رفعت الحجاب عن إمكانات كثيرة، ولكن غقتصر إهتمامنا على الجانب النفعي فيها. ستستحضر التقنية إمكانات الطبيعة المنسحبة. ولكنها تضع الإنسان في موقع يجعله مستسلما لجنون السيطرة. وهكذا فالتقنية هي أداة أو وسيلة تعمل من أجل الإنسان، وهي خاضعة لسلطته من أجل تحقيق غايات محددة. مما يجعله يتعد أكثر فأكثر عن الأشياء كأشياء في ذاتها. وفي هذا نسيان مضاعف للكينونة الأصيلة لأننا لم نعد قادرين حتى على أن نحلم بعودة الأشياء من الماضي البعيد (Veizin, 1986, p. 203). إنه الإنسان الذي تحدث عنه ماركيز، في كتابه الإنسان ذو البعد الواحد، لأن الإنسان بهذا المعنى يرسخ مفهوم السيطرة على الطبيعة. وهنا حدث إنقلاب في الأولويات بين الكائن والكينونة. وأعطيت الأولوية للكائن على حساب الكينونة. هضمت التقنية الحديثة عن طريق الحساب المتكامل، كل ما هو كائن. وهذا ما يسميه هيدغر بـ اللانسانية المطلقة لعلوم اليوم التي حطت من قيمة الإنسان، لتضعه في منزلة الأشياء. فالعلوم الحديثة، التي تشهد تمثالا للفيزياء الكمية وفيزياء نيوتن، هي التي جعلت الإنسان سيدا على الطبيعة ومالكا لها.

حتى نفهم الكينونة، علينا أن نتطرق أيضا إلى مفهوم هيدغر لـ "العالم" Welt، ولكن بشرط ألا نخلطه بالمعنى التقليدي. فمبدأ السببية غير كاف لمعرفة جوهر العالم أو الطبيعة الباطنية له، لأن المعرفة تمر بأشكال متعددة، واللغة هي أحد هذه الأشكال. لقد تنبه هيدغر إلى أهمية اللغة في عملية التفكير، إذ لا وجود لفكر من دون لغة. فإذا كانت اللغة هي مقر إقامة الكينونة فإن العالم هو المكان الذي يتواجد فيه الكائن الأرضي المعارض للكائن السماوي، أين يتحدد انفتاح الكينونة نفسها، الذي لم يُعط بعد؟ أي أن العالم ليس معطى جاهزا، ولكنه سيأتي، أو ما هو قادم إلى الحضور. فالعالم هو اللعبة، أي لعبة المرأة التي مازالت مختبئة عن عناصرها الأربعة، وهي الأرض والسما والکائن المنتهي والكينونة اللامتناهية. فالعالم كوحدة تجمع بين هذه العناصر الأربعة للعبة، مازال يرفض نفسه، ومازال يختفي وينسحب في الإختباء. وهذا، ما يمسك بالمصير أو القدر، أي مصير الفكر الغربي من برمنيدس إلى غاية نيتشه.

إن حقل الميتافيزيقا المنتهية هو الذي يسميه هيدغر بمرحلة التقنية، ولكن يمنح لهذا اللفظ معنى يجمع بالإضافة إلى مجال إنتاج الآلات، كل المجالات الأخرى الخاصة بالكائن، كالثقافة والسياسة، وحتى الطبيعة التي أصبحت مادة objet تُفهم كتاريخ للذاتية ولإرادة القوة فالذات الإنسانية هي الذات المتحكممة في التاريخ والصناعة له، أي أنها هي الذات التاريخية. إلى أن إستقلت التقنية عن الإنسان وبسطت هيمنتها عليه فأصبح تابعا لها بعد أن كان سيدا عليها. فغيرت كينونة التقنية التي يصفها هيدغر بالهالة القصوى للنسيان، علاقتنا مع العالم ومع الكينونة ومع الأنا ومع الآخر. وغيّرت أيضا علاقتنا بالموت.

ما يدفعنا إلى التفكير، هو رغبتنا في التفكير. والرغبة إرادة، وهي أيضا تعبير عن الفقد. حيث لا نرغب في الأشياء التي نملكها. نحن نرغب فقط في ما لا نملك. وكون الإنسان يرغب ويريد، هذا لا يعني أنه يملك المقدرة على فعل ذلك لأن ما يدفعه إلى التفكير، قد هرب وانفلت من قبضة الإنسان وأشاح بوجهه عنه منذ زمن بعيد-(Martin, Qu'appelle-t-on penser ?, 1959). لا بد للفكر أن يتوجّه توجُّهاً صائبا. فإذا أخطأ وجهته أخطأ طريقه.

استمر نسيان الكينونة في التكوين الفلسفي لمفهوم الحقيقة في فكرة المثال أو الخير الأسمى لأفلاطون. ومع أرسطو في فكرة الحركة *ενεργεια*. وبعدها، مع ديكرت في إكتشافه لمفهوم الذاتية *la subjectivité* ومع كانط في مفهوم الوضع *la position*. ومع هيجل في فكرة الروح المطلق *l'absolu*. وفي كل نظريات التمثيل *la représentation* مع شوبنهاور. وأخيرا في إرادة القوة *la puissance* لنيثشة. وكلها كلمات تمثل الكينونة، وجاءت تلبية لنداءها. وبهذا، كتبت أو أعلنت الميتافيزيقا نهايتها، حيث تم تعريف الكينونة على أنها مجموع ما هو كائن. وهذا غير صحيح، فهي كينونة الكائن في كليته.

يقول هيدغر في 38 من الكينونة والزمان: "نحن لا نعرف ما تعنيه كلمة كينونة" (Veizin, 1986, p. 29). ولكن، بمجرد طرح السؤال، وفي اللحظة نفسها التي نتساءل فيها، نحن نتمسك بفهم الوجود «Est». نحن لا نعرف الأفق الذي علينا أن ننطلق منه، للقبض على معنى الكينونة. إن الفهم المؤلف والواسع للكينونة هو في الحقيقة حدث *Un fait*. ولكن، لا يوجد حدث من دون فاعل. هل يعني هذا أنه هناك فرق في قول "ثمة" وهي كلمة يقابلها في اللسان الفرنسي «il y a» وبين كلمة "يوجد"، «il est»؟ ويقابلها مصطلح *Es gibt* في اللغة الألمانية، فإذا فكرنا في إمكانية فعل العطاء، فكيف نفكر في هذا الذي يعطي الكينونة؟ أي كيف نفكر في الضمير الحيادي «Es»؟ ربما الأصح هو أن نقول هناك كينونة، «il y a être» عوض الكينونة موجودة «L'être est» (MARTIN, *Questions III et IV*, 1990, p. 204).

إن فهمنا المؤلف للكينونة، تغطيه سحابة ضبابية، ولكن هذا الفهم هو ظاهرة إيجابية. فالكينونة تختلف عن الوجود *Existence*. الكينونة، لا هي الكائن المطلق "الله"، ولا الوجود ولا الكائن. المتسائل في السؤال هو الكينونة التي تحدد الكائن ككائن، وكينونة الكائن ليست هي نفسها الكائن. وهذه، هي أول خطوة في طريق فهمنا لسؤال الكينونة. الأنطولوجيا عند هيدغر هي علم الكينونة، وليست علم الكائن. ولكن إذا عدنا إلى الأصل اليوناني لكلمة أنطولوجيا *οντολογία*، نجد الكلمة مركبة من "أونتو" و"لوجيا"، فالكلمة اليونانية "أون" *ον*، تعني الكائن. فلماذا نقول بأن الأنطولوجيا هي علم الكينونة؟ هل كلمة "أون" باليونانية تحمل معنى الكائن أو الكينونة أو الإثنين معا، فتمّ تحديد مفهوم الأنطولوجيا كعلم الكينونة بحكم أسبقية الكينونة على الكائن؟ لفظ "أون-أونتوس" هو إسم المفعول الخاص بالفعل "أيني" *Ειναι*.

يبين لنا هيدغر في كتاب الكينونة والزمان، وتحديدًا في الفترتين الثالثة والرابعة، أسبقية سؤال الكينونة على سؤال الكائن. حيث يقول: "التحري الأنطولوجي، يعطي سؤال الكينونة الأولوية الأنطولوجية" (Veizin, 1986, p. 35). فإذا كان لكل كائن سبب كاف يحدثه، فإن العدم لا يحتاج إلى سبب. فهل يمكن أن نقول، على ضوء تحليل هيدغر، أن الكينونة هي العدم؟ وإذا كانت كذلك، فما هي الطريقة التي نسلکہا لمعرفة العدم؟ وهل علم الكينونة هو علم يبحث في العدم؟

لإنقاذ الكينونة من النسيان، يقول هيدغر لا بد من تقويض *Die Destruktion* تاريخ الميتافيزيقا. ولكن ما هو التقويض وما هي أدواته؟

ترجم *veizin François* الكلمة الألمانية *Destruktion* إلى *Désobstruction*. لا علاقة التقويض علاقة بالتحطيم أو هدم التقليد. إن العمل الخاص بالتقويض هو تفكيك المفاهيم التقليدية الموروثة والمترابطة وذلك بالعودة إلى الأصول الأولى *abbauen*. هذه العودة هي الفهم الأصيل لتاريخ الفلسفة. وهي الإنتقال من النقد التاريخي إلى تقويض تاريخ

الأنطولوجيا، فالنقد وحده لم يعد كافيا. ويُعد مبدأ التقويض من المبادئ الأساسية في المنهج الفينومينولوجي (Phillippe, p. 334). يقصد بالتقويض الإنصات لنداء كينونة الكائن، وعلينا أن نستجيب لندائها. بشرط أن تنصت الأذن وتسمع بحرية إلى ما نقلته إلينا الميتافيزيقا الكلاسيكية.

يرى هيدغر أن أداة تقويض الميتافيزيقا التقليدية هي "الزمانية". ويعطيها هيدغر مكانة هامة. هذه الزمانية التي نسيها الميتافيزيقا، هي الأفق الأنسب لفهم الكينونة (Veizin, 1986, p. 397). ولكن، ما علاقة الزمان بالكينونة؟ وكيف يمكن دراسة الزمانية فينومينولوجيا؟ كيف يمكن العبور بالزمان إلى موضع الإنارة، ليكون الزمان أفقا لفهم الكينونة؟

6. ما هو الزمان؟ وهل للزمان مكان يوضع فيه؟

لقد كان الزمان $\kappa\rho\nu\nu\nu\sigma$, Cronos في بعض الأساطير اليونانية هو مبدأ الوجود. يرى هيدغر بأن العلاقة بين الزمان والكينونة، هي علاقة تبادلية. وهما الاثنان معنيان بالأمر نفسه وهو الاحتجاب. فإذا كان ثمة علاقة بينهما فهي علاقة عهد بالاحتجاب (محبوب، 2011، صفحة 123). Ereignis. فالزمان هو خلوة الكينونة Lichtung. وتعني الفسحة خفيفة الإنارة في نموذج الغابة الكثيفة وشديدة الظلمة، والتي تشبه ملعبا تشتغل فيه كل من الإضاءة والظلمة (محبوب، 2011، صفحة 119). هنا، نحمل الزمان إلى موضع النور أو الإضاءة، ليكون أفقا لفهم الكينونة. ويُحمل انطلاقا من الكينونة-هنا، أي من الدازين. تنتشر الكينونة كحضور في الدازين، ولكن لا وجود لحضور مكتمل. وبالتالي، لا وجود لانفتاح مكتمل. وهذا ما يسميه هيدغر بـ «L'ouvertude» (Veizin, 1986, p. 21)، أي أنه إنفتاح يحمل إمكانية الإنغلاق. وبهذا يكون الإنغلاق هو أساس الانفتاح، والحجب هو أساس التكشف. هذا الأخير يحجب دائما جوهره.

يتم التكشف حسب مبدأ الفينومينولوجيا وهو مبدأ العودة إلى الأشياء ذاتها، بالعودة إلى الزمان الأصلي (Veizin, 1986, p. 504) من خلال الدازين المتزامن في الزمان، حيث يتم البحث في أصل الزمان إنطلاقا من الزمان المتناهي في إنتمائه إلى الزمان الأصلي. فالدازين ليس سوى إمتداد للزمان المحدد بلحظتي الولادة والموت. وهذا المفهوم للزمان يختلف عن المفهوم التقليدي للزمان باعتباره الزمان الحسابي، أي أن الزمان هو مجموعة من لحظات محسوبة ومتتابعة. الزمان الأصلي ليس بالزمان الحسابي، إنه تجربة فريدة وخالصة Un resenti. حيث تدخل خاصية الزمانية في تركيب البنية الوجوداوية للدازين (Veizin, 1986, p. 505). وبالتالي، الزمانية هي الأساس، أي أنها عنصر أصيل في التكوين الأنطولوجي الوجوداوي existential للدازين. إلا أنه في الميتافيزيقا الكلاسيكية، يتحدد الكائن بحضوره في الزمان الحاضر أي باللحظة Anwesenheit. ولكن الحضور الآني المرتبط باللحظة الآنية Maintenant لا يلبث أن ينفلت، فلا يمكن القبض عليه في أي حال من الأحوال. يسقط الحضور دائما في الهاوية. الحضور في الزمان الحاضر، هو لحظة مستقرة في اللحظة الآنية وغير متوازنة على الإطلاق في اللحظات القادمة، فالحضور متغير باستمرار. الحضور الآني هو كينونة الزمان الحاضر، ولكننا إذا قسمنا الزمان إلى ماض وحاضر ومستقبل، فإن الماضي قد ذهب وولى وأصبح عدما ولكنه ليس عدما خالصا، والمستقبل لم يأت بعد، فهو في حكم العدم، والحاضر زئيفي فهو يشبه العدم في سرعة دخوله ضمن دائرة الماضي ليستقبل ما هو قادم إلى الحضور. فكيف لنا أن نقبض على كينونة الزمان إذا كانت هي والعدم سواء؟ ولهذا، ينقل هيدغر الزمان من الحاضر إلى المستقبل بمعنى الغياب الذي ينظر إلينا ويأتينا في معنى "ليس بعد" (MARTIN, Questions III et IV, 1990, p. 210)، أي أنه ينقل الزمان الحاضر إلى الزمان المستقبل وينقل الحضور إلى ما هو قادم إلى الحضور (MARTIN, De l'essence Le devenir de la vérité, 2001, p. 254). فالقادم إلى الحضور يؤخر حضوره دائما.

يوضح لنا هيدغر أن الميتافيزيقا الجديدة التي يرغب في بنائها، إنما تنطلق من الإنسان الفاني الذي يحمل خاصية الموت معه، فالموت هو من يفتح أفق العدم. إذ يدخل "الموت" (Vezin, 1986, p. 294) في تكوين بنية الدازين الأنطولوجية وهي ميزة ثابتة، وهي الإمكانية القصوى للإمكانية الدازين. فتُظهر لنا ظاهرة الموت جلياً القدرة على الكينونة الكلية للدازين، الذي يظهر في نمط كينونته المهمومة. وهذه القدرة على الكينونة الكلية للدازين محكومة بالزمانية. أي أن حالة الدازين اللامتكتمل *une non-entièreté*، هي حالة ترافقه إلى أن يموت ولن تكتمل إلا بموته. وإن كنا في إنتظار الموت، مع أنه حدث قادم لم يأت بعد، ولكنه يقيم في بنية الدازين وهو إمكانية تنتهي فيها إمكانية كينونته. الدازين هو دائماً ما ليس بعد، أي أنه دائماً في حالة إنتظار وتأهب. ولكن بموته، تنتهي وتتوقف كل إمكانياته. يقول هيدغر: "قد شاخ الإنسان بما يكفي، في نفس لحظة ميلاده ليموت" (Vezin, 1986, p. 299). أي أن لحظة ميلاده هي نفسها لحظة موته. وهذا يعني أن إمكانية الموت قد تكون هي الإمكانية الوحيدة، فلا يعرف الإنسان إمكانية غيرها. فالموت في معناه الواسع هو ظاهرة الحياة (Vezin, 1986, p. 300). الموت هو الظاهرة الأصيلية والوحيدة التي يكون فيها الدازين أصيلاً ووحيداً حيث لا يمكن أن يشاركه في هذه التجربة الأصيلية أحد. يصف هيدغر "الموت" في الفقرة 52 من الكينونة والزمان، ويقول بأنه الكينونة اليقينية الوحيدة التي لا تقبل الشك، أي أن الموت حقيقة. وهو الحالة الوحيدة التي يتخلى فيها الدازين عن علاقته بالآخر، فيكون على موعد مع كينونته الخاصة والخالصة. ففي الموت يكون الدازين وحيداً وأصيلاً.

الموت هو ظاهرة سابقة للأنطولوجيا وهي من فعل الكينونة، لا الكائن، ولكن إذا كانت كذلك لماذا إختار هيدغر بناء عالم جديد قائم على ميتافيزيقا جديدة، تؤسسها الكينونة-من-أجل-الموت؟ فالميتافيزيقا الكلاسيكية التي كانت قاعدة للعالم الغربي لقرون خلت، أسسها الإنسان العاقل. *Res cogitans*. وهذا يعني أن فعل التأسيس يخص الدازين. قد نعتقد لوهلة أننا نحن من نصنع الفلسفة ولكن في الحقيقة، الفلسفة هي من تصنعنا. فمصير العالم الغربي هو النتيجة الحتمية لمسار العقل الذي رسمته الميتافيزيقا الغربية مع بداية اللحظة الأفلاطونية، حيث دخلت الكينونة في نفق النسيان.

وبالتالي يمكن أن نميز من خلال ما ذكرناه سابقاً بين أنطولوجيا الكائن وهو موضوع العلم، وأنطولوجيا الكينونة. وبين فعل الكينونة ككينونة، وفعل الكائن الذي يدخل دائرة الاستعمال اليومي في نمط الإنشغال اليومي. ولكن فيما تبحث كل منهما؟ إذا كانت الأولى تبحث في كائنية الكائن، فإن الثانية تبحث في حقيقة الكينونة ككينونة. ولكن ما هو الوضع الجديد الذي أعاد من خلاله هيدغر سؤال الكينونة ككينونة إلى الذاكرة؟

7- اللوغوس هو الوضع الجديد الذي أعاد هيدغر من خلاله سؤال الكينونة إلى الذاكرة

ما هي حقيقة الكينونة *Seyn*؟ وما هو فعل الكينونة؟

يقول هيدغر: عندما نقول الكينونة، نحن لا نقول كلاماً فارغاً، ولكننا نبقي عاجزين عن تفسير ما نفكر به، كما أن حيرة الإنسان تزيد وتكثف حين نجد أننا نفكر تاريخياً بذات الشيء، رغم اختلاف الأنساق والتجارب والتعبير. إلا أننا نهرب من الحيرة المهمومة في الحشد، ونلجأ إلى الرأي الشائع والعام. تفتقد الكينونة تشكيل أي فكرة واضحة عنها.

الكينونة هي الفراغ، الكينونة هي الغموض، وهي أساس بلا غور *Der Abgrund*. هذه الكلمة الألمانية لا تعبر عن الغياب الخالص والبسيط للأساس فقط، بل تحمل معنى آخر وهو أساس الحرية الإنسانية التي تعد إنفتاحاً. إذ لا يعقل وجود إنفتاح في غياب الحرية. كما أن *Ab* تبين حذف هذا المنسحب، حتى يُفسح أو يترك مكاناً للكائن. إن كلمة "إنسحاب" هي الكلمة التي تعبر عن المعنى الحقيقي لـ *Abgrund*. فالمنسحب، يحتفظ دائماً بغموضه. ولهذا يقول هيدغر: أكثر شيء

خاص في الظاهرة لا ينبغي له أن يظهر. وهذا يعني أن ما يظهر لنا، هو في الحقيقة يخفي أكثر مما يظهر. وهذا تعبير عن كرامة الكينونة التي تناديننا وتطالبنا بفعل الرعاية.

فعل الكينونة هو إنبثاقها في الإنفتاح

كتب هيدغر، في كتاب رسالة في النزعة الإنسية، كلمة existence، التي تعبر عن الوجود الإنساني بطريقة مختلفة ek-sistence. لكي يبين أن الكينونة-هنا أي الدازين، ليس هو من يحمل رؤية متعالية للعالم، ولكن الدازين هو ذلك المنفتح على العالم، بطريقة يكون فيها منفتحاً لأن العالم منفتح له. وهذا يضم أيضاً "الوقائعية" facticité الخاصة بالكائن الملقى الذي يفهم اليوم على أنه من الكينونة نفسها. "الكينونة هي مصدره، نشأ عنها أو أتى منها" (Dastur, 2011, pp. 34-45). العالم ليس إسقاط للإنسان (projection du Dasein) أو ما يراه هذا الإنسان. ينفتح العالم قبل أي شيء كـ "إنارة" la clairière في علاقته التي يكون فيها الدازين موجوداً. الكينونة هي ما يأتي-في الحضور Anwesen، أي ما يُعطى في الحضور أو ما يُعطى في الإنفتاح. فتحضر الكينونة في إضاءة الظواهر الخاصة بالدازين. ما يأتي في الحضور ليس بكائن ولا بكائن مطلق ولا بمجموع الكائنات ولا بتصور، بل هو رؤية الكينونة. فالكينونة والزمان يحددان بعضهما. الكينونة ليست بكائن والزمان أيضاً ليس كائناتنا. الكينونة عطاء. وتحيلنا فكرة عطاء الكينونة وإنفتاحها إلى فكرة المكان والمأوى، ولكن أين يقيم الدازين وأين ينفتح؟

في تعريف هيدغر للمكان، ينفي إنتماءه إلى تجربة داخلية، كما أنه ليس المكان الفيزيائي، أي أنه ليس مكاناً خارجياً. المكان هو ما ينفتح عن طريق إنفتاح الإنسان في قربه وعلاقته بالأشياء. إذن الإقامة الحقيقية للدازين تكمن في مجاورته لكينونة الأشياء في العالم. لا علاقة لـبعد الإنفتاح بالمكان كمادة. ولهذا من المهم العودة إلى الكيفية أو الطريقة التي نتواجد بها في العالم. إذ لا يمكن أن يتواجد الدازين في العالم كأى شيء موجود. يقول هيدغر أن المكان الموروث من العلم الفيزيائي هو مكان لا يمكن أن نسكنه. إذ لا يمكن لكينونة الدازين، أن تنكشف إلا في مجاورتها لهذا الإنفتاح، ولا وجود لإنفتاح دون إضاءة. الإنفتاح هو أصل العمل والإنشاء والتلقي.

إن نسيان الكينونة هو نسيان الطريق المؤدي إلى إنفتاح العالم. ولهذا لن تكون هناك إمكانية للإقامة والسكن. إقامة الإنسان يقول هيدغر، تنبثق بين السماء والأرض، أي أن إقامة الإنسان على الأرض لا تكون ممكنة إلا في توافقها مع السماء. تكمن عملية إنفتاح العالم في الرباعية أي في علاقة الدازين الرباعية، وهي علاقة بين الأرض والسماء وبين الفانين والمقدس. فالمقدس هو صدى الكينونة وهو الحضور الدائم للغيباب. وهذا ما يقصده هيدغر بكلمة "الإله". يقول هولدرلين: "يقيم الإنسان على الأرض شعرياً".

يرى هيدغر بأنه ربما يجب أن يكون للكينونة والزمان أساساً أكثر عمقاً. ووجد أساساً لفظياً سماه إيرينغيس Ereignis. هذا الأخير، يحدد الكينونة والزمان في إحتوائهما المشترك، فالعلاقة بينهما تبادلية، يكشفان في خضم هذه العلاقة عما هو خاص فيهما. فتتكشف الكينونة ككينونة في الحضور، ويتكشف الزمان كعلاقة رباعية. ولكن، هل يمكن أن نقول بأن الكينونة هي إيرينغيس؟

تنبثق الكينونة من فراغ، فالكينونة في جوهرها "عدم". الكينونة هي الإنسحاب، والإنسحاب في اللغة اليونانية هو "الليثيا" ληθη، وهو مأخوذ من الفعل "لائثانو" λανθάνω، ويعني نمط الظهور الخاص الذي لا يمكن القبض عليه أثناء إنسحابه. ويعني أيضاً النسيان. فهل النسيان هو نتيجة للإنسحاب وهذا يكون النسيان هو فعل الكينونة، لا الكائن؟ هل ما

تزال هناك إمكانية لتتفكر في هذا المنسحب، بطريقة أصلية ويونانية؟ إنطلاقاً من ماذا يمكن لهذا المنسحب أن يظهر ويتجلى كإنسحاب؟

أن تتفكر في الكينونة، هو أمر يتطلب العودة إلى المفكرين الأوائل لنتمعن ونفحص أقوالهم. وهذا يعني أن التفكير في الإنسحاب يكون انطلاقاً من الشعر. والشعر في معناه الخاص هو القول الشعري، أما في معناه العام فهو الفن. وفي الحالتين لا يمكن للدازين أن يكشف الإنسحاب عن طريق العقل. المفتاح الوحيد الذي يمكنه أن يفتح باب التفكير في الإنسحاب هو مفتاح الحالات العاطفية، حيث يتجلى الوعي كنداء ل "الهيم". فالدازين كوعي، ينادي أنه في أعماق هذه الكينونة المنسحبة (Vezin, 1986, p. 334)، ونداءه هو صدى لنداء الكينونة. إنه اللوغوس $\lambda\omicron\gamma\omicron\varsigma$ ، أي القول الصامت للكينونة، والذي لا يستطيع سماعه إلا من كان يتقن لغة الصمت. وهذا ما أطلق عليه هيدغر مصطلح «Le ça»، بمعنى يستقبل الدازين نداء الكينونة ويصغي إلى صوتها. صوت الكينونة، هو في ذاته إنارة، حيث يفتح العالم ويتجلى في اللغة. فاللغة هي الجزء الذي يشترك فيه الدازين مع الكينونة، فيستقبل كلماتها ليخرجها فيما بعد في نظم وأقوال شعرية. فالشاعر هو المختار والمقيم بجوار الكينونة وفي رحابها. يقول هلدلين (Martin, *L'origine de l'œuvre d'art*, 2014, p. 91):

من الصعب أن يترك المكان

من كان يعيش بالقرب من الأصل.

خاتمة

إن مشروع هيدغر الأنطولوجي، هو إعادة تحديد العلاقة الأصلية للكينونة، التي أخفتها الميتافيزيقا الغربية. فكان الزمان هو الاسم الذي أطلق على حقيقة الكينونة، وهذا ما يظهر في كتاب الكينونة والزمان. لأن الإغريق هم الأوائل الذين اعتبروا كينونة الكائن حضوراً في الزمان الحاضر. إلا أن حقيقة الكينونة الحاضرة مختبئة، وحضورها هو إنتشارها في الحضور. فتتكشف الكينونة الواحدة في التعدد من خلال حقيقة الزمان المتمثلة في علاقته الرباعية. إذا قلنا أن فعل النسيان هو مسؤولية الدازين، لأن تأسيس الإنسانية هو تأسيس ميتافيزيقي. فإن هذا لا ينفي إشترك الكينونة في فعل النسيان بإعتبار المجاورة بين الكائن والكينونة. جوهر كينونة الدازين هو الكلام، وفعل الكلام في زمن الإغريق يحمل معنى القول والإستماع، إذ لا يمكن أن نتكلم دون أن نسمع أولاً. الكينونة هي دائماً في إنتظار من يتذكرها وينصت إلى نداءها، والدازين هو الآخر ينتظر هذا الغائب ليحضر ويكشف له عن غموضه. ولكن إذا نادتنا الكينونة وخرجت عن صمتها فعلينا أن نلبي النداء، وإذا سمعنا صوتها فعلينا أن نبلغه. فالدازين هو كينونة في العالم وكينونة مع... أي أنه في علاقة مستمرة بالعالم. الدازين بإعتباره كينونة- في- العالم هو الفاني الذي دخل في علاقة مع الإنسحاب، وهو راعي الكينونة وليس سيداً على الكائن. أي أنه هو من يحفظ في ذاته حقيقة الكينونة ككينونة Seyn.

- Dastur, F. (2011). , *Heidegger et la pensée à venir*. Vrin.
- Greisch, J. (1996). *Ontologie et temporalité*. Paris: Puf.
- MARTIN, H. (2001). *De l'essence de la vérité*. Gallimard.
- MARTIN, H. (1980). *Introduction à la métaphysique*. Gallimard.
- Martin, H. (2014). *L'origine de l'œuvre d'art*. petite bibliothèque.
- Martin, H. (1962). *Le principe de raison*. Gallimard .
- Martin, H. (1959). *Qu'appelle-t-on penser?* (éd. 5). (B. Aloys, & G. Gérard, Trads.) Quadrige.
- Martin, H. (1998). *Qu'est-ce que la métaphysique ?* Nathan.
- MARTIN, H. (1990). *Questions III et IV*. Gallimard.
- Phillippe, A. *Le Dictionnaire Martin Heidegger*. Article Destruction.
- Vezin, F. (1986). *Être et Temps*. Gallimard.
- Wahl, J. (Janvier à Juin 1946). *introduction à la pensée de Heidegger*. Sorbonne: Biblio Essais.
- محمد محجوب. (2011). *هيدغر ومشكل الميتافيزيقا*. تونس: دار الجنوب للنشر.
- هانس جورج زانديكولر. (2009). *كانط والنقد*. مجلة أيس (3).